فعرض عليهم الإسلام فأبَوا؛ فعرض عليهم الجزية، فصالحوه على ذلك فباتوا على صلح، حتى إذا أصبحوا أصبحوا على غدر، فبادرهم القتال فلم يكن أسْرَعَ مِنْ أنْ أظْهَرَهُ اللّهُ عليهم.

قصص الصحابة في الأعمال والأخلاق المفضية إلى هداية النّاس

قصة إسلام عمرو بن الجموح وما فعل ابنه ومعاذ بن جبل لإسلامه

أخرج أبو نعيم في الدلائل (ص ١٠٩) عن ابن إسحاق قال: لمّا قدم الأنصار المدينة بعدما بايعوا رسول الله ﷺ ظهر الإسلام بها، وفي قومهم بقايا على دينهم من أهل الشّرْك منهم عَمرو بن الجَموح، وكان ابنه مُعاذ قد شهد العَقَبة وبايعَ رسولَ الله ﷺ بها. وكان عَمرو بن الجموح سيّداً من سادات بني سَلَمَة وشريفاً من أشرافهم، وكان قد اتّخذ في داره صَنَماً من خشب يقال له: «مَنَاة» كما كانت الأشراف يصنعون، يَتّخِذُه إلْهاً وَيُطَهّرُه. فلما أسْلَمَ فتيانُ بَني سَلِمَة: معاذ بن جبل، وابنه معاذ بن عَمْرو بن الجموح، في فتيان منهم ممّن أسلم وشهد العقبة ـ كانوا يُدلجون بالليل على صَنَم عمرو ذلك فيحملونه فيطرحونه في بعض حُفَر بني سَلِمة وفيها عِذَرُ[1] الناس مُنَكّساً على رأسِهِ. فإذا أصبح عمرو قال: ويلكم من عَدَا على إلهنا في هذه الليلة؟ قال: ثم يغدو يلتمسه حتى إذا وجده غسله وطهّره وَطَيّبَهُ، ثم قال: وايْمُ الله، لو أني أعلم من صنع بك هذا لأُخزِيَنّهُ. فإذا أمسى ونام عَدَوْا عليه ففعلوا به مثل ذلك.

فلما أكثروا عليه استخرجه من حيث ألْقَوْه يوماً، فغسله وطهّره وطيّبه، ثم جاء بسيفه فَعَلّقَهُ عليه ثم قال: إني والله ما أعلمُ من يَفْعَلْ بك ما ترى، فإنْ كان فيكَ خيرٌ فامتنعْ فهذا السّيف معك. فلما أمسى ونام عَدَوْا عليه فأخذوا السيف من عنقه، ثم أخذوا كلباً ميتاً فَقَرَنُوهُ معه بحبلٍ، ثم ألْقَوْهُ في بئر من أبيار بني سَلِمَة فيها عَذِرَة من عِذَر الناس. وغدا عَمرو بن الجموح فلم يجده مكانه الذي كان فيه، فخرج في طلبه حتى وَجَدَهُ في تلك البئر منكّساً مقروناً بكلب ميت. فلما رآه وأبصر شأنه وكلّمه مَنْ أسلم من قومه، أسلم ـ يرحمه الله ـ وَحَسُنَ إسْلامُهُ.

---

(١) عِذَرُ الناس: أي غائطهم.

وزاد منجاب عن زياد في حديثه عن ابن إسحاق قال: وحدثني إسحاق بن يَسَار عن رَجُل من بني سَلِمة قال: لما أسلم فتيان بني سَلِمة أسلمت امرأةُ عمرو بن الجموح وَوَلَدُهُ، قال لامرأته: لا تدَعي أحداً من عيالك في أهلك حتى ننظر ما يصنع هؤلاء، قالت: أفعل، ولكن هَلْ لَكَ أنْ تسمع من ابنك فلان ما رَوَى عنه[1]؟ قال: فلعلّه صبأ. قالت: لا، ولكن كان مع القوم فأرسل إليه فقال: أخبرني ما سمعتَ من كلام هذا الرجل فقرأ عليه: ﴿الحمدُ للّهِ رَبِّ العالَمِينَ ـ إلى قوله تعالى ـ الصِّرَاط المُسْتَقِيمَ﴾ فقال: ما أحْسَنَ هذا وأجمله، وكلُ كلامِهِ مثلُ هذا؟ فقال: يا أبتاه، وأحسَنُ من هذا. قال: فهلْ لكَ أن تبايعه؟ قد صنع ذلك عامة قومك قال: لست فاعلاً حتى أوامرَ[2] مَنَاة، فأنظرَ ما يقول. قال: وكانوا إذا أرادوا كلام مَنَاة جاءت عجوز فقامت خلفه فأجابت عنه. قال: فأتاه وَغُيِّبت العجوز وأقامَ عنده فتشكّر له. وقال: يا مناة، تشعر أنه قد سُبِلَ[3] بك وأنتَ غافل!! جاء رَجُلٌ[4] ينهانا عن عبادتك ويأمُرُنا بتعطيلكَ، فكرهتُ أن أبايعه حتى أوامرك. وخاطبه طويلاً فلم يردّ عليه. فقال: أظنك قد غضبت ولم أصنع بعدُ شيئاً، فقام إليه فكسره!!.

وزاد إبراهيم بن سلمة في حديثه عن ابن إسحاق: قال عمرو بن الجموح حين أسلم وعرف من الله ما عرف، وهو يذكرُ صَنَمَهُ وما أبصر من أمره، وَيَتَشَكّرُ اللّهَ الذي أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة:

أتوبُ إلى الله مِمّا مضى ... وأستنقذُ الله[5] من نارِهِ
وَأُثني عليه بنعمائه ... إلهِ الحرام وأستارِهِ[6]
تسبحانه عدد الخاطئين ... وقطر السماء ومدرارِهِ
هداني وقد كنتُ في ظُلمة ... حليفَ مَنَاة وأحجارِهِ
وأنقذني بعد شيب القَذَالِ[7] ... مِنَ شَيْنِ ذاك ومن عارِهِ

(١) عنه: الضمير هنا للرسول ﷺ أو لمصعب بن عمير.
(٢) أوامر: أشاور.
(٣) في الأصل «سئل بك» والتصويب من «دلائل النبوة» والمعنى وقعت في أمر شديد.
(٤) المراد هنا من الرجل هو إمّا الرسول ﷺ أو مصعب بن عمير كما مرّ في «عنه» والله أعلم.
(٥) أستنقذ الله: أطلب منه النجاة.
(٦) إله الحرام وأستاره: أي إله البيت الحرام وأستار الكعبة.
(٧) شيب القذال: أي شاب أوّل الفتا.

فقد كِذتُ أهلِك في ظلمةٍ تدارك ذاك بمقدارِهِ[1]
فحمداً وشكراً له ما بقيت إلٰه الأنام وجبّارِهِ
أريدُ بذلك إذ قُلتُهُ مجاورَة اللّٰهِ في دارِهِ

وقال أيضاً يذمُّ صنمه:

تالله لو كنتَ إلٰهاً لم تكن أنتَ وكَلْبٌ وسْطَ بئر في قَرَنْ[2]
أفٌ لملقاك إلٰهاً مُستدنْ[3] الآن فتّشناك عن سوء الغَبَنْ
الحَمْدُ للّٰهِ العلي ذي المنن الواهبِ الرزّاقِ ديّانِ الدُّيَنْ
هو الذي أنقذني من قبل أن أكون في ظلمة قبر مرتهن

قصة إسلام أبي الدرداء
وما فعله ابن رواحة لإسلامه

وأخرج الحاكم في المستدرك (٣/ ٣٣٦) عن الواقديّ قال: كان أبو الدّرداء رضي الله عنه فيما ذُكر ـ آخر داره[4] إسلاماً، لم يزل متعلّقاً بصنم له وقد وضع عليه منديلاً، وكان عبد الله بن رواحة رضي الله عنه يدعوه إلى الإسلام فيأبى؛ فيجيئه عبدُ الله بنُ رواحة وكان له أخاً في الجاهلية عن الإسلام[5]. فلما رآه قد خرج من بيته خالفه فدخل بيته، وأعجل امرأتَهُ وإنها لتمشط رأسها. فقال: أينَ أبو الدّرداء؟ فقالت: خرج أخوكَ آنفاً. فدخل بيته الذي كان فيه الصّنمُ ومعه القَدُوم[6] فأنزله وَجعَلَ يَقدّدُهُ فِلَذاً[7] وهو يرتجزُ سِرًا من أسماء الشياطين كلها، ألا كل ما يُدْعَى مَعَ الله باطلُ. ثم خرج وسمعت المرأةُ صوت القَدُوم وهو يضربُ ذلك الصنم، فقالت: أهلكتني يا ابن رواحة!! فخرج على ذلك فلم يكن شيءٌ حتى أقبل أبو الدرداء إلى منزله، فدخل فوجد المرأة قاعدة تبكي شَفَقاً منه[8]. فقال: ما شأنك؟ قالت: أخوكَ عبدُ الله بن رواحة دخل عليَّ فصنع ما ترى. فغضِبَ غضباً شديداً، ثم فكّر في نفسه فقال: لو كان عند هذا خير لدفع عن نفسه. فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ ومعه ابن رواحة فأسلم.

---

(١) بمقداره: أي بقضائه وحكمه.
(٢) القرن هو الحبل.
(٣) مستدن: ذليل مستعبد.
(٤) آخر داره: أي آخر أهل داره.
(٥) عن الإسلام: لعلّ الأولى قبل الإسلام.
(٦) القدوم: آلة للنحت والنجر.
(٧) فلذاً، فلذاً: قطعاً، قطعاً.
(٨) شفقاً منه: خوفاً منه.

كتاب عمر إلى عمرو بن العاص
في أمر الجزية والسبايا

وأخرج ابن جرير الطبري (٤/ ٢٢٧) عن زياد بن جَزْء الزُّبيدي قال: افتتحنا الإسكندرية في خلافة عمر رضي الله عنه ـ فذكر الحديث، وفيه: ثم وقفنا ببَلْهيب وأقمنا ننتظرُ كتابَ عُمر حتى جاءنا، فقرأه علينا عَمْرو رضي الله عنه وفيه:

«أما بَعْد، فإنّه جاءني كتابك تذكر أنّ صاحب الإسكندرية عرض أن يُعْطِيكَ الجِزْيَةَ على أن تَرُدَّ عليه ما أصيب من سبايا أرضه، وَلَعَمْرِي، لجزيةٌ قائمةٌ تكونُ لنا ولمن بَعْدَنا من المسلمين أحبُّ إليَّ مِنْ فيءٍ يقسم ثم كأنه لم يكن، فاعرِضْ على صاحب الإسكندرية أنْ يُعطيَكَ الجزيةَ؛ على أن تخيّروا من في أيديكم من سَبْيِهِمْ بين الإسلام وبين دِينِ قَوْمِهِمْ؛ فمن اختارَ منهم الإسلام فهو من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم؛ ومن اختارَ دين قومه وُضِعَ عليه من الجزية ما يُوضَعُ على أهل دينه، فأمّا من تفرّق من سبيهم بأرضِ العرب فبلغ مكة ـ والمدينة واليمن فإنا لا نَقْدِرُ على ردِّهم، ولا نحبُّ أن نصالحه على أمر لا نفي له به».

ذكر ما وقع للصحابة في فتح الإسكندرية

قال: فبعث عمرو إلى صاحب الإسكندرية يُعْلِمُهُ الذي كتب به أمير المؤمنين. قال: فقال: قد فَعَلْتُ. قال: فجمعنا ما في أيدينا من السبايا، واجتمعت النصارى، فجعلنا نأتي بالرجل ممن في أيدينا ثم نخيّره بين الإسلام وبين النصرانية، فإذا اختار الإسلام كبّرْنا تكبيرةً هي أشدُّ من تكبيرنا حين تفتح القرية. قال: ثم نَحُوزُهُ إلينا[1]. وإذا اختار النصرانية نَخَرَتِ النَّصارى ثم حازُوهُ إليهم، وَوَضَعْنا عليه الجزية، وجزعنا من ذلك جزعاً شديداً حتى كأنه رجلٌ خرج منّا إليهم، قال: فكان ذلك الذي أدّب حتى فرغنا منهم. وقد أُتِيَ فيمن أتينا به بأبي مريم عبد الله بن عبد الرحمن. ـ قال القاسم: وقد أدركته وهو عريف بني زُبيد ـ قال: فوقفناه فعرضنا عليه الإسلام والنصرانية ـ وأبوه وأمه وإخوته في النّصارى ـ فاختارَ الإسلام فحزناه إلينا، ووثب عليه أبوه وأمه وإخوته يجاذِبُونَنا حتى شَقُّقوا عليه ثيابه، ثم هو اليوم عريفُنا[2] كما ترى ـ فذكر الحديث.

قصة درع علي وما وقع له
مع نصراني ودخوله في الإسلام

وأخرج الترمذيّ والحاكم عن الشَّعْبيّ قال: خرج عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه

(١) نحوزه: نضمّه إلينا.
(٢) العريف: هو القيّم بأمور الجماعة أو القبيلة.

إلى السّوق فإذا هو بنصرانيّ يبيع درعاً، فعرف عليّ رضي الله عنه الدرع، فقال: هذه دِرْعِي، بيني وبينك قاضي المسلمين، ـ وكان قاضي المسلمين شُرَيحاً؛ كان عليّ استقضاه[1] ـ فلما رأى شريح أمير المؤمنين قام من مجلس قضائه وأجلس علياً في مجلسه وجلس شريح قُدامه إلى جنب النصرانيّ. فقال عليّ: أمَا ـ يا شريحُ ـ لو كان خصمي مُسْلِماً لَقَعَدْتُ مَعَهُ، ولكني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لا تُصَافِحُوهُمْ، ولا تَبْدَؤُوهُمْ بالسّلام، ولا تَعُودُوا مَرْضَاهُمْ، ولا تُصَلُّوا عَلَيْهِمْ، وَأَلْجِئُوهُمْ إلى مَضَايِقِ الطَّرِيقِ، وَصَغِّرُوهُمْ كَمَا صَغَّرَهُم اللّهُ»؛ اقض بيني وبينه يا شُرَيح. فقال شُرَيح: ما تقولُ يا أمير المؤمنين؟ فقال عليّ: هذه درعي وَقَعَتْ مني منذ زمان. فقال شريحٌ: ما تقولُ يا نصرانيّ؟ فقال النصرانيّ: ما أكذِّب أمير المؤمنين الدرع درعي. فقال شريح: ما أرى أنْ تخرج من يده فهلْ من بَيِّنَةٍ؟ فقال عليّ: صَدَقَ شُرَيْحٌ. فقال النصراني: أمّا أنا فأشهد أنّ هذه أحكامُ الأنبياء، وأميرُ المؤمنين يجيءُ إلى قاضيه وقاضيه يقضي عليه، هي ـ والله يا أمير المؤمنين ـ دِرْعُكَ. اتبعتك وقد زالت عن جملك الأورق، فأخذْتُها، فإني أشهد أنْ لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله. فقال عليّ: أما إذا أسلمت فهي لك، وحمله على فَرَسٍ.

وعند الحاكم عن الشّعبي قال: ضاع درعٌ لعليّ رضي الله عنه يوم الجمل، فأصابها رجلٌ فباعَها، فَعُرِفَتْ عند رجل من اليهود، فخاصمه إلى شُرَيح، فشهدَ لعليّ الحسنُ ومولاه قَنبَر. فقال شريحٌ: زِدْني شاهِداً مكانَ الحَسَنِ، فقال: أترُدُّ شهادة الحَسَنِ؟ قال: لا، ولكنْ حفظت عنكَ أنه لا تجوز شهادة الوَلَدِ لِوَالِدِهِ.

وأخرجه الحاكم في الكُنى وأبو نُعيم في الحلية (٤/ ١٣٩) من طريق إبراهيم بن يزيد النيمي عن أبيه ـ مطوّلاً، وفي حديثه: فقال شريح: أمّا شهادة مولاك فقد أجزناها[2] وأمّا شهادة ابنكَ لكَ فلا نجيزها. فقال عليّ رضي الله عنه: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ! أما سمعت عُمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «الحَسَنُ وَالحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ». ثم قال لليهودي: خُذِ الدِّرْعَ. فقال اليهوديُّ: أميرُ المؤمنين جاء معي إلى قاضي المسلمين فقضى عليه وَرَضِيَ؛ صَدَقْتَ ـ واللّهِ يا أميرَ المؤمنين ـ إنها لَدِرْعُكَ سقطت عن جمل لك النقطتُها، أشهدُ أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله. فوهبها له عليّ وأجازه بسبع مائة، ولم يزل معه حتى قُتِلَ يوم صِفّين. كذا في كنز العمال (٤/ ٦).

(١) استقضاه: أي جعله قاضياً.

(٢) أجزناها: أي أنفذناها.